سقطة أمريكية كبرى في العراق!

21-2-2005

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة مازالت مصرة على مواصلة حماقاتها، والرهان على قدرة عملائها على تنفيذ سياستها، وضبط إيقاع اللعبة السياسية في العراق، بما يضمن استمرار الاحتلال الأمريكي إلي أجل غير مسمى

بقلم عبدالله صالح

يعكس المشهد الحالي في العراق فشلاً ذريعاً وتخبطاً فى السياسة الأمريكية، وهو مشهد غير قابل للجدل، تتبدى أهم ملامحه في التناقض الصارخ بين الخطاب السياسى الأمريكي وبين الواقع الفعلي على الأرض..بين طموحات و"أوهام" الولايات المتحدة في العراق ومنطقة الشرق الأوسط قبل عام، وما جنته الآن..من فشل ذريع، فقد تلقت أكثر من ضربة موجعة نتيجة سوء سياساتها، والرهان على عملاء عراقيين لدعم سياسات الاحتلال وتجميل الوجه الأمريكي البغيض، وكان آخر هذه الرهانات الخاسرة أحمد الجلبي

وها هي الآن تعيد الكرة باختيارها إياد العلاوي كرئيس للوزراء في العراق، معتقدة أنه الرجل الأصلح للمرحلة القادمة، بعدما كانت صحيفة واشنطن بوست قد نقلت منذ أيام عن مسئولين أمريكيين قولهم إن عالم الذرة العراقي حسين شهرستاني يأتي في مقدمة المرشحين لمنصب رئيس الوزراء؛ غير أن شهرستاني اعتذر عن عدم تولي المنصب في اليوم التالي، وسط غضب من الأمم المتحدة بسبب الترتيبات التي تؤثر على عملية اختيار مسئولي الحكومة العراقية المقبلة.

وعلاوي الذي كان يترأس حركة الوفاق الوطني العراقي المعارضة لنظام الرئيس المخلوع صدام حسين، والتي تأسست بشكلها العلني عام 1991 تعتقد واشنطن أنها ستتمكن من استخدامه كأداة طيعة لتنفيذ السياسات الأمريكية في العراق، ولكن مقال "جوستين هوجلر" و"روبرت كورنويل" فى جريدة الاندبندنت البريطانية اليوم (30/5/2004) بعنوان "عشرات التحولات في الطريق نحو السلام"، يشير إلي أن تعيين رئيس وزراء مؤقت في العراق كان يعمل من قبل لصالح الاستخبارات الأمريكية واحدا من جملة تغييرات، يعكس تخبط السياسة الأمريكية في العراق.

كما أن إقدام الولايات المتحدة على هذه الخطوة أثار الجدل حول ما تواجهه السياسة الأمريكية من تحديات جديدة فى العراق، ومنطقة الشرق الأوسط، تستدعي إعادة النظر في جملة من المسلمات والتصورات الواهية التي حملتها الإدارة الأمريكية معها إلى المنطقة، رافعة شعار المخلص والمنقذ لها من الاستبداد.. فضلاً عما يمثله إقدام الإدارة الأمريكية على الانفراد بتعيين رئيس وزراء للعراق، متجاهلة إرادة الشعب العراقي، من تداعيات تتعلق بموقفها في الانتخابات الأمريكية في نوفمبر القادم، وعلى صورة الولايات المتحدة حاملة لواء الحرية والديمقراطية إلي منطقة الشرق الأوسط والعالم بأسره!.

لقد جاءت الولايات المتحدة إلي العراق وهي تتصور أنها ستتمكن من ترسيخ أقدامها فى المنطقة من خلال وتستطيع إقامة المزيد من القواعد العسكرية والسيطرة على آبار النفط، بما يعوض تكاليف الحرب فى العراق. ولكنها وجدت مالم يكن في حسبانها، فلم تحصد من العراق سوى الفشل الذريع، حيث قوبلت بمقاومة شرسة من جانب كافة الفصائل العراقية، وتعرضت لخسائر مادية وبشرية تفوق ما تعرضت له في فيتنام، وأيقنت أن تقديرها للموقف لم يكن صائباً في جوانب كثيرة، من بينها تكاليف إعادة إعمار العراق، فقد كان التمويل المستهدف لإعادة إعمار العراق يقدر بحوالي 50 مليار دولار مع توقع أن تساعد عوائد النفط العراقي في تمويل إعادة الإعمار. وبعد عام من أحداث العنف والتخريب المستمر للمنشآت النفطية بلغ حجم الطلب الذي تقدم به الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى الكونجرس لتمويل إعادة الاعمار 187 مليار دولار.

ومن جانب آخر فقد كانت الولايات المتحدة تخطط لإقامة مزيد من القواعد العسكرية في المنطقة، وكان أحد أهم أهدافها من وراء حرب العراق هو توفير حاملة طائرات جديدة في الخليج بمجرد انسحاب القوات الأمريكية من المملكة العربية السعودية، فضلاً عن إقامة خمسة قواعد في المناطق الصحراوية بالعراق، ولكن الفشل الذريع والمقاومة الشرسة التي تواجهها في العراق أفشلت هذه الخطط. واضطرت بدلاً من ذلك إلى العمل على تأمين قواتها البالغة نحو 138 ألف جندي وتمديد مهمتها إلى أجل غير مسمى مع احتمال زيادة العدد إذا دعت الضرورة. بعدما كانت تتحدث عن إمكانية تخفيض حجم هذه القوات في المستقبل.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد تذرعت في عدوانها على العراق بالقضاء على نظام صدام التسلطي وإقامة نظام ديمقراطي في العراق على الطراز الغربي، يكون بداية لإعادة تشكيل النظم السياسية في المنطقة، فإن هذا الهدف تراجع، وأصبحت أقصى أحلام بوش هي الخروج سالماً من المستنقع العراقي، ومواجهة خصومه ممن يريدون استخدام ورقة العراق ضده في الانتخابات الأمريكية، خاصة مع تصاعد الهجمات على القوات الأمريكية من جانب المقاومة العراقية، وإعلان فضيحة التعذيب في أبو غريب، حيث أصبح الحديث يتركز فقط في الرغبة في تحقيق الاستقرار والأمن في العراق، بعدما كانت الولايات المتحدة تتحدث سابقاً عن تغييرات اجتماعية وسياسية عميقة في العراق وباقي دول المنطقة.

وعلى الجانب الآخر فقد ورطت الولايات المتحدة بريطانيا ورائها في المستنقع العراقي وأصبحت الحكومة البريطانية مهددة بسبب انسياقها الأعمى وراء "الطيش" الأمريكي، وتورط جنودها فى أعمال لا إنسانية ضد العراقيين، ولكن يبدو أن وقت المحاسبة قد اقترب، ولهذا تبدو أهمية مراجعة النفس ومحاولة العودة إلي الصواب، وعلى سبيل المثال فإن الجيش البريطاني يجرى حالياً

تحقيقات مكثفة في حوادث مقتل عشرة مدنيين عراقيين بسبب سوء معاملة الجنود البريطانيين لهم. وربما تكون هذه هي المرة الأولى التي يقر فيها مسؤولون بريطانيون بأن هناك عشرة حالات وفيات يتم التحقيق فيها، الأمر الذي يكشف أن حجم الانتهاكات التي تعرض لها مدنيون عراقيون على أيدي القوات البريطانية في الجنوب أكبر بكثير مما كان يعتقد في السابق.

لقد أصبح المشهد في العراق يعكس رفضاً وطنياً عارماً من كافة التيارات السياسية، باستثناء المتعاملين مع الاحتلال لأسباب مختلفة، لاستمرار الوجود الأمريكي في البلاد، وخاصة منذ تفجر فضيحة التعذيب والتنكيل بالأسرى العراقيين فى مشهد مأساوي يعكس همجية القوات الأمريكية والبريطانية.

وعلى المستوى العالمي أيضاً، فإن المتابع لوسائل الإعلام، وخصوصاً البريطانية والأمريكية، يلاحظ تصاعد موجة الرفض لاستمرار الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، وعدم القبول الدولي بسياسة الأمر الواقع التي يجرى فرضها فى العراق. ومع ذلك فإن الولايات المتحدة مازالت مصرة على مواصلة حماقاتها، والرهان على قدرة عملائها على تنفيذ سياستها، وضبط إيقاع اللعبة السياسية في العراق، بما يضمن استمرار الاحتلال الأمريكي إلي أجل غير مسمى.